

## الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث محاضرات الدكتور جميل صليبا

ألقى الدكتور جميل صليبا عميد كلية التربية ونائب رئيس الجامعة السورية طائفة من المحاضرات في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة .  
صدرَ المحاضرة الأولى بمقدمة أشار فيها الى موضوع محاضراته وطريقة هذا الموضوع وأقسامه ، ثم أفاض في طبائع أهل الشام واستوفى الكلام على هذه الطبائع في المحاضرة الثانية .  
وفي المحاضرتين الثالثة والرابعة تكلم على العوامل المؤثرة في الاتجاهات الفكرية الحديثة وعلى رأس هذه العوامل الأحداث التاريخية وتأسيس الجمعيات والأحزاب السياسية واقتراب الشاميين وهجرتهم وعناصر الحضارة الغربية وأثرها في الاتجاهات الفكرية ونمو الحياة الاقتصادية وانتشار التعليم .  
وفي المحاضرة الخامسة أتمّ البحث عن العوامل المؤثرة في الاتجاهات الفكرية الحديثة فأضاف الى العوامل التي ذكرها حركة الترجمة والتأليف .  
أما المحاضرة السادسة فقد جعلها للاتجاهات الفكرية في بلاد الشام فأمضى القول في القومية والوطنية والانسانية واستوفى هذا البحث في المحاضرة السابعة .  
وتكلم في المحاضرتين الثامنة والتاسعة على الطبيعة والمجتمع في أدبنا الحديث .  
وفي المحاضرة العاشرة أشار الى النزعتين المادية والروحية في هذا الأدب .  
وجعل موضوع المحاضرتين الحادية عشرة والثانية عشرة الاتجاه العلمي والاتجاه الفني .  
ثم ختم محاضراته كلها بكلمة وجيزة فرغب الى القارئ أن يلم بما في محاضراته من إشارات مريضة وأن يكمل هو نفسه ما توحي إليه هذه الإشارات من أفكار لم يتسع وقت المحاضر لتفصيلها وتوضيحها .

\*\*  
\*\*

انني لم أذكر فهرس هذه المحاضرات وعناوينها عبثاً ، فلا شك في أن القارئ  
يحمسُ بجلالة قدر هذه الموضوعات من ذكر الفهرس والعناوين ، ولا شك في  
أنه يشعر بخصب هذه الموضوعات ، وبسعة آفاقها . وما أظن أن محاضرات  
كهذه يسهل الخوض فيها . فالذي أعان الدكتور جميل صليبا على التبريز في  
موضوعه إنما هو على ما أعتقد اختبار عقله ونضج تفكيره الفلسفي فما تصدّى  
لفكر من الأفكار إلا أحاط بهذا الفكر من مجامع نواحيه أو من أكثر هذه  
النواحي . وأعانه على هذه الإحاطة كما قلت تفكيره الفلسفي العميق فإنه يُعنى  
في كل ناحية بالمقدمات والنتائج وبالأسباب والمسببات ، شأن الفلاسفة الذين  
لا يقنعون بظواهر الأمور دون التدقيق في بواطنها . فالدكتور صليبا لم يعالج  
موضوعاته في المحاضرات من ناحية السطوح وإنما انحدرت إلى الأعماق فكشف  
عن غوامضها فوضّح ما يحتاج إلى توضيح ، وفصل ما يفتقر إلى تفصيل ، بحيث  
لا يعترض الذهن في خلال القراءة إشكال أو غموض ، وإنما يترأى الموضوع  
للذهن كأنه أمام مرآة صافية مصقولة . فهنيئاً للذين رزقهم الله روحاً فلسفية  
تكتنهم من أشباه هذه التوضيحات والتفصيلات .

ولكن هذه الروح الفلسفية التي رزقها الله الدكتور صليبا لم تخل من روح  
أديسة دقيقة صادقة ، فهو بذوق الشعر كما بذوق الفلسفة ، ويقدر على معرفة  
أسراره وخصائصه كما يقدر على معرفة أسرار الأشياء وخصائصها ، فإن الذي  
يقلّب النظر في هذه الأحكام الوجيزة التي حكمها على كثير من قصائد الشعراء  
في هذا العصر لا يشك في أن صاحب هذه الأحكام قد خالط كبار الشعراء  
في القديم والحديث وامتزج بأرواحهم وأدرك حسّهم وشعورهم حتى اهتدى إلى  
مواطن الحسن في أكثر الشعر ، وحتى نبّه على هذه المواطن ، ويبيّن حقائق قيمتها .  
فاذا شكرنا للدكتور جميل صليبا مجهوده في محاضراته التي ظهرت عليها  
آثار عقل راجح وفكر ناضج وذوق صافٍ فإننا نشكر لمعهد الدراسات العربية  
العالية حسن اختياره للأستاذة المحاضرين .

سفيان جبري

www.alukah.net